وطن آخر

تقول الأسطورة:

« في زمان غير الزمان، ولد الواقع والحلم كوطن للإنسان»

اختلفا، لم يتفقا على المشاركة ولم يعجبهما التكامل، ظلّ كلاهما يحارب الآخر، وكأنّما موت أحدهما يعني حياة الآخر، كلاهما تآمر على الإنسان وهذا هو الشيء الوحيد؛ الذي اتّفقا عليه.

انفصلا وسلب وطن الحلم لبّ الإنسان، وأخذ يمنيه بعالم ملؤه الحب والخير والجمال، عالم يحقّق للإنسان أبسط حقوقه في السكن والعلاج والتعليم والتطور وكشف خبايا الكون والتحكم فيها، ذهل الانسان، وحلّق عقله وقلبه مع وطن الحلم.

لكن لم يعجب هذا وطن الواقع، فكشّر عن أنيابه ممسكًا بقدمي الإنسان مانعًا إيّاه من التحليق بالحلم، أنشب أظافره المعدنية الباردة في لحم الإنسان الحي، مثبتًا إيّاه في الأرض، صارخًا في وجهه:

«يجب عليك أن تواجه مصيرك المحتوم، أن تسجد للمال والمادة، أن تركن للفساد والحيل لتواجه ضعف قدراتك

ومحدوديــة مــواردك، الحــب ســخف والخــير بلــه والجمــال ليـس لـه قيمـة ماديـة ولا وقـت لديـك لتذوقـه... مكانـك معـي، لا تغـتر بالطـيران والتحليـق فمـا دمـت غـير راض عـن ذلـك فمصـيرك السـقوط لا محالـة».

بكـى الإنسـان مـن ألم التمـزّق، ونعـى حظّـه البائـس، وأخـذ يفكّـر كيـف يوفـق بـين الوطنـين؛ ليحمـي نفسـه مـن التمـزّق والفنـاء، وليعـرف أيـن هـو وطنـه الحقيقـيّ الـذي يحتويـه لا الـذي يفـرض عليـه أطروحـات متناقضـة وشـاذة.

حـاول الهـرب.. فصـدّه العجـز، الـذي سـدّ منافـذ الأمـل كلّهـا، ولم يتبـق لـه سـوى الاستسـلام ومشـاهدة النـزاع الدائـر علـى أنقاضـه وعظامـه في حـيرة.. ينتظـر فـوز أحدهـم لينهـي مأسـاته.